

اللون وأبعاده في شعر السياب

دراسة نفسية - إحصائية

أ.د. كاظم صليبي عيدان

مركز البحوث والدراسات - جامعة كرميان

ملخص

إن المتتبع لشعر بدر شاكر السياب؛ يجد أن الشاعر قد ولج اللون منذ ديوانه الأول وحتى آخر ديوان له، وقد سلط الضوء على الألوان التي تلتصق بالطبيعة والتي هي تعبر خلجات نفسية بشكل وآخر. وقد اخترت خمس قصائد من كل مجموعة شعرية والألوان الموظفة فيها لا تقل عن تسعة ألوان، ومن خلال الجوانب الإحصائية يلاحظ القارئ، أن هناك تفاوتاً واضحاً في استخدام الألوان من لدن الشاعر في النسب والعدد لها، ولجأ السياب إلى الألوان لرسم صورته الشعرية والإدراك الحسي لها. كلمات مفتاحية: السياب، اللون.

The Color and its Reflections in Al-Sayab's Poems

Psychological - Statistical Study

Prof. Kadhm Salibi Eidan

Research and Studies Center - Garmian University

Abstract

A follower of the poetry of Badr Shaker Al-Sayab finds that the poet has used the color since his first collection of poems until his last one. He sheds light on the colors that stick to nature and which express psychological expressions in one way and another.

As a researcher, I tried to choose five poems from each poetry group and the colors used there are not less than nine colors, and through the statistical aspects the reader notes that there is a clear variation in the use of colors

by the poet regarding the proportions and the numbers. The reason that led Al-Sayab to pay his attention to the colors was to draw his poetic images and sensory perception of them.

Keywords: al-Sayab, Color.

مقدمة

إن تناول الألوان وإدراكها يخضع في الكثير من جوانبه إلى الصورة الشعرية، باعتبار الإدراك الحسي عنصراً مهماً من عناصرها، فحاسة البصر إحدى الحواس الخمس التي تكشف طبيعة الإدراك الحسي واللوني والإحساس بأشكال الأشياء، وعليه فالإدراك اللوني يعني أنه جزء مهم من الإدراك الحسي، وهو الجزء المتعلق بحاسة البصر وما تحسه من ألوان. ويوصف الإدراك بأنه "استجابة لمجموعة نفسية حركة من التنبهات الحسية مصدرها موضوعات العالم الخارجي" (١). لهذا فاستجابة الشاعر إلى اللون هي في الواقع تخضع لمؤثرات الواقع أو المؤثرات الطبيعية، ولهذا شعر الانطباعيون "بأن حقيقة الشيء في الطبيعة" (٢).

هذا إلى جانب كون القصيدة ذات صلة حميمة بالواقع ومعطيات الطبيعة وبموضوع الرسم حيث "أن الرسم والكتابة فن واحد، وأن الشاعر يستطيع أن يرسم الشعر، كما يستطيع الرسام أن يكتب قصائد بلا صوت" (٣). وذلك "لأن الشاعر مثل الرسام يقدم المعنى بطريقة حسية" (٤). حتى أن أحد النقاد عرّف الصورة الشعرية بأنها "رسم قوامه الكلمات" (٥).

ولأن الشاعر بدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤) قد تعامل مع اللون تعاملًا واضحاً من خلال القصيدة وليس من خلال اللوحة وحدها، لذا فإنه سيظل ذات صفة شعرية تنبع من خلال القصيدة باعتبارها تعبيراً حسيّاً عن جمال مظاهر الأشياء (باعتبارها) وسطاً معبراً عنه بالكلمات لوصف الألوان النابعة من الطبيعة وصفاً حسيّاً يقترن بالأساس بحاسة البصر لكون "الإحساس بتأثير اللون على طبيعة الإدراك الحسي في الصورة الشعرية، هو دليل على عمق إحساس الشاعر بتأثير الطبيعة وعلى انعكاس الصورة المرئية على تشكيل الصورة الشعرية لونياً" (٦). من هنا نستطيع أن نقول بأن الصورة الشعرية تمثل كلاً فنياً، أو المحتوى الشمولي للقصيدة، بينما يمثل الإدراك اللوني جانباً جزئياً منها. والآن الشاعر (بدر) قد عاش مرحلة خضعت بفضل العصر ونتائجه لصراعات متعددة، فأن تعامله مع اللون سيبدو إلى حد ما ذا نزعة فكرية تستمد أبعادها من ألوان الطبيعة باعتبارها "كائنات ضوئية نوعية فيها من الطبع والإثارة، يخاطب الوجود وكل الكائن البشري" (٧). نجد الألوان السائدة في شعر السياب مستمدة أساساً "من الليل والنهار وفصول السنة ومن النبات والسماء وأشياء الطبيعة الأخرى"، لأن دورة الحياة هي التي تخلق الصراع بين هذه الموجودات، ولا بدّ لأحدهما أن يحل محل الآخر، بفعل سُنّة حركة الوجود، وبفعل قدرة

الإنسان على اختراق الحواجز لهذا فإنه عمد إلى تبديد الظلمة بالنور؛ لذا نجده سيوقد الشموع ويشعل النيران ويصنع المصاييح وينتظر الفجر والربيع والقمر والنجوم وسيسقي الأرض ، وهنا يصبح الصراع قائماً بين هذه الموجودات مثلما هو قائم في الوقائع والأحداث لأنه عندما يحدث الصراع سيتخذ له لوناً خاصاً به يستوحيه من أسبابه مثل، القتل، والدم، اللذين يدللان على اللون الأحمر، ثم يدخل اللون الأصفر حلول الخريف ويدخل لون القمح في الحصاد وهكذا ستكتشف حركة الألوان وصلتها بالطبيعة ، كما يبدو ذلك في شعر السياب:

١. السواد: ويستقيه من الليل، والدجى، والمساء، وصور الغراب، والسحى، والتشريد،
والقبر.

٢. النور: ويستقيه من الضوء (ضوء الشمس، والقمر، والنجوم والنار، ومن كل عناصر
الإشراق الأخرى التي تبدد ملكة الظلام.

٣. اللون الأبيض: ويستقيه الشاعر من الثلج، أو يَرِدُهُ صريحاً في قصائده.

٤. اللون الأزرق: ويستقيه الشاعر من لوني سماء البحر أو أنه يرده أحياناً صريحاً في شعره

٥. اللون الأخضر: ويستقيه من ألوان النباتات، كالنخيل، والأعشاب، والأشجار، أو يرده
صريحاً في شعره.

٦. لون القمح: والذهب والبرتقال والبيادر.

٧. اللون الأصفر: ويستقيه من صفرة النباتات، وحلول فصل الخريف.

٨. اللون الأحمر: وهو لون الصراع الدامي، والشفق الأحمر، والجراح، وكل أبعاد الاعتصاب
والقتل.

٩. لون الظل: وتستجيب له ألوان التحول السريع والأشياء المتحركة، كالضباب، والسحب،
والغبار، وقد يتبعها بقدر أدنى لون السراب، الذي يعبر عن اختلال الألوان مع أنه يحمل
صفات الظلال والحجب.

وهكذا نجد لدى الشاعر السياب تسعة ألوان رئيسة مستقاة من موجودات الطبيعة تعامل معها
بخلق صورتها الحسية عبر بعدها اللوني، والتي كثيراً ما تميل إلى العتمة، والحزن واليأس إلا في صورتها الوطنية
فإنه يبدو أكثر إشراقاً.

ولمتطلبات البحث اخترت (خمس قصائد) من كل مجموعة شعرية لنرى الألوان السائدة فيها،
وهذه القصائد اختيرت لا على التعيين ، فنجد الألوان السائدة في القصائد الخمس المختارة من مجموعته

الشعرية " أزهار ذابلة " الصادرة عام ١٩٤٧، هي ألوان نابعة من انعكاس ألوان الطبيعة على القصيدة ، فاللون الأسود هو اللون السائد والمعبر عنه بـ " أسود الليل ، المساء ، الدجى ، الظلام ، الحزن ، ... " أو يعبر عنه بمترادفات تعطي مضمونه حينما يكشف عن شيوع أجواء الحزن والاكتئاب ، فقد ذكر السواد ومدلولاته (٤٠) مرة (راجع الشكل رقم ١) في مواجهة النور من خلال النهار والضوء وما تابعهما كما أننا نجد الألوان الأخرى كالأحمر والأصفر والأخضر. إن تأثير وسيلة العيش المتصلة بالأرض، والطبيعة بصورتها الشاملة التي تعبر عن وضوح الجانب الاقتصادي وتأثيره على حياة الإنسان، إضافة إلى الوضع المأساوي الذي ساد العالم ومنه عالمنا العربي في (مرحلة الأربعينيات) وتكالب القوى الأجنبية والعميلة، (راجع الشكل رقم ١) الأمر الذي قلب موازين الحياة إلى حد ما، حيث ساد الجو المأساوي حياة الناس اليومية العادية، ومنها حياة الشاعر السياب في هذه الفترة الحالكة والصعبة. أما اللون الأحمر الذي نجده في قصائد هذه المجموعة يقف حائراً بين لهيب النار، وإشراقه النور؛ لذا ارتبط بلون الشفق باعتباره انعكاساً ضوئياً ذا بعد زمني له مدلوله الفكري - السياسي ، فنزيف الدماء يعبر عن القتل والجراح والصراع الدامي والاعتصاب وما يشكل انتهاكاً لحرية الإنسان في العيش وفي التعبير عن آرائه ومواقفه وممارسة أعماله وهواياته ، ولدى شاعرنا جملة ألوان تقف حائرة وسائبة في تعبيرها اللوني لأنها تعكس فوضى التعامل مع الأشياء، بوصفها محسوسات بصرية، كالغيوم والسراب، والظلال مما يكشف عن كونها تعبيراً عن عدم وضوح التركيز اللوني وتشوش التعبير باللون وقد جاءت هذه الألوان بصيغ متعددة ، لأن الصورة المنبثقة عن ألوان الظلال مثلاً تبدو غائمة ومرتبطة بقلق الأفكار، وقلق التعامل مع اللون ، لذلك نجد قلة الألوان الموظفة وهي ألوان أساسية واضحة المعالم والمغزى مثل (الأزرق، الأبيض ، الأحمر) . ولعل قارئ قصيدة (في السوق القديم) يرى (طغيان اللون الأسود على أجواء القصيدة في حين لا يجد للألوان الآتية ذكراً _ الأبيض، الأزرق _ في حين نجد الألوان الأحمر، الذهبي، الأخضر قد جاء ذكره مرة واحدة فقط. وهنا نورد جزءاً من قصيدة في السوق القديم (٨)). للتدليل على ما ذكرناه فيقول:

الليل والسوق القديم

في ذلك الليل البهيم

والليل والسوق القديم

وغمغمات العابرين

ناء يذكرّ بالليالي المقمرات وبالنخيل ... إلخ.

إن سيادة لون واحد (الأسود) على أجواء القصيدة والذي ذكر (١٦ مرة)، يعني أنه لون معنوي ينفذ من الأجسام إلى الأعماق يعبر عن فجيعة وألمه وضجره النفسي الذي يلاحقه ويكتنف القصيدة من بدايتها إلى نهايتها وهذا دليل على الحزن، لكنه حزن الأعماق وليس المعالم والأشكال وهو يدعه حائراً بين نفسه والإنسان والأشياء، فشيوع السواد يعني تبديد الألوان الأخرى تحت ظل سيادة صيغته وأجوائه ومعانيه على الرغم من سيادة الجمل الاسمية وحرف العطف منذ بداية القصيدة، كما نلاحظ في نص القصيدة. كذلك نجد على الرغم من شيوع اللون الأسود وسيادته على أجواء القصيدة، إلا أننا نجد " النور والضياء والإشراق " تأخذ حيزاً واضحاً في أجواء القصيدة كما نرى:

والنور تعصره المصابيح الحزاني في شحوب

وأنتِ أيتها الشموع ستوقدين

حتى أنتِ هي والضياء... الخ

أما الألوان السائدة في القصائد الخمس المختارة من مجموعته الشعرية " أساطير* " الصادرة (انظر نص القصيدة في المجموعة الشعرية الكاملة ج ١، ص ٢١ وما بعدها) و(انظر شكل رقم (٢)) عام ١٩٥٠ والتي تعبر عن وضوح وعيه السياسي بشكل كامل من خلال هذه المرحلة التي دخل فيها مرحلة مهمة من حياته حيث الفصل السياسي، والسجن، والتشريد، وما آل إليه الوطن من حالة التمزق ونكبة فلسطين وغيرها، نجد الشاعر يعيش حالة من الحزن على الرغم من ظهور هذه الحالة، إلا أن لها معادلاً وهي حالة الاستشراق والأمل الذي يحدو نفس الشاعر، حيث الأمل بالانتصار على الأعداء وشيوع الحرية والأجواء الديمقراطية، والعدالة، الاجتماعية لم تفارق نفس الشاعر بل كانت واضحة من خلال الجدول الإحصائي للقصائد الخمس المنتقاة من ديوانه، حيث انبثق لديه؛ فاللون الأسود الذي له حضوره الخاص وخلفية فكرية وسياسية، يكشف صلة الشاعر بالسلطة وطبيعة الصراع بينهما إذ يشيع هذا اللون ويتردد استخدامه في القصائد الخمس المختارة (٢٧) مرة، حيث نجد ألفاظاً تدل على " الليل، الدجى، المساء، الغراب، السجن، الفصل، التشريد، القبر... الخ " في حين نجد (النور) قد تردد في هذه القصائد (٢٦) مرة وهو بذلك يكون معادلاً للحالة المأساوية التي تنتاب نفس الشاعر وهذا متأثراً من تكرار مفردات "الضوء، الشمس، القمر، النور... الخ". كما نجد أن اللون الأحمر قد تكرر (مرتين) ولم يتكرر اللون الأبيض بصفته النقية في هذه القصائد، أما الظلال ومحتواها فقد تكرر (٧) مرات في هذه القصائد اللون الأزرق (٣) مرات عندما جاء واضحاً في تلك القصائد، ففي قصيدته "ولقاء" (٩) والتي نورد بعضاً منها حيث تغطي مساحة القصيدة حالة الاستشراق والأمل سادلة اللون الأسود طاغية عليه فيقول:

لست أنتِ التي بها تحلم الروح، ولست التي أغني هواها (*)

كان حب يشد ، حولي ، ذراعيك ، ويدني من الشفاه الشفاه

واشتياق كأنما يسرق الروح، فما في العيون إلا صداها

الخطى واللون، من فجوة الباب تسلل والضياء الضئيلًا

والأزاهير تشرب النور في بطاء ويعكسونه ابتسامًا ذليلاً

ونلاحظ في هذه القصيدة شيوع (الجمل الاسمية) منذ بداية القصيدة وكذلك (أحرف العطف) و(حروف الجر) و (بعض الأفعال) (الماضية والمضارعة) ، لهذا نجد إن الأساس الذي بنيت عليه الصورة ، هو نسق من الجمل الاسمية سواء تتكون من مبتدأ وخبر أو خبر جملة فعلية ، وإمكانية العطف موجودة داخل النص من خلال حرف العطف (و) ويمكن ملاحظة إن هذا النسق ذو طبيعة زمنية لارتباطها بفعل الحاضر وهذا الفعل المضارع أما القصائد الخمس المختارة من مجموعته الشعرية " أنشودة المطر(*) " الصادرة عام ١٩٦٠ ، فقد بدأ فيها إدراكه للون ينتشر على مساحة واسعة تغطي أغلب هذه القصائد وخاصة " اللون الأسود " حيث تكرر في هذه القصائد (٤٥) مرة ، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى الأحداث التي عايشها وتعرضت لها الأمة العربية والعراق ، وحالته النفسية ومرضه الشديد، إضافة إلى اليأس من شفاء مرضه والبطالة التي كان يعيشها والتي أدت إلى ضيق اليد ، الأمر الذي جعلته يكون عرضة للانزلاق والتهافت نحو الحصول على المادة من أي مصدر كان. أذ أخذت هذه الهموم تستهلك حجم أغلب القصائد المنتقاة وهذا لعدم وجود ألوان أكثر تفاعلاً واستشراقاً قد طغت في بعض هذه القصائد المختارة كما نلاحظ على سبيل المثال في قصيدته " النهر والموت (١٠) " حيث تطغي حالة الأمل والاستشراق على الحالة السوداوية وألوانها، فتزد هذه الحالة (٦) مرات يقابلها (انظر القصيدة في المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٩٧ ما بعدها، وانظر شكل (٣))

اللون الأسود وما يعادله إذ تكرر (٤) مرات، إضافة إلى شيوع اللون الأخضر (٣) مرات، واللون الذهبي (مرتين) واللون الأحمر الذي تكرر (٣) مرات. وهنا نورد بعض الأبيات لهذه القصيدة (*): -
وتنضج الجرار أجراساً من المطر

إليك من قمح وزهور

لألمح القمر

يخوض بين ضفتيك، يزرع الظلال

ويملاً السلال

واليوم، حين يطبق الظلام

واستقر في السرير دون أن أنام

فيدهم في دمي حنين..... الخ

إن الشاعر قد استهوته موجودات الطبيعة بحق فبدت واضحة في قصيدته هذه من خلال توظيف المفردات المتعددة ذات الصلة بالطبيعة مثل " الظلال ، النهر، المطر، الشجر، القمح ، الزهر" وهذه القصيدة قد عبرت عن استمرار حركة الألوان ثم راج اللون الاستشراقي التأملية يغلب على اللون الأسود وتساعد الألوان الأخرى " الأخضر، الذهبي ، إضافة إلى الظلال" وهنا نجد القصيدة قد ابتدأت بالاسم والجملة الاسمية، إضافة إلى تواجد حرف العطف والنداء، والجملة الاسمية الطاغية على جو القصيدة لذا وجدنا روح التفاؤل والأمل بالحياة والمستقبل يبدو أكثر وضوحاً في هذه القصيدة.

ونعود إلى القصائد الخمس المختارة من مجموعته الشعرية " المعبد الغريق " الصادرة عام ١٩٦٢* ، نلاحظ عودة الشاعر إلى توظيف اللون الأسود ومدلولاته وسيادة ذلك اللون على مساحة هذه القصائد؛ حيث يتكرر (٢٦) مرة ، وهذه متأت من حالة الشاعر المساوية، وما آلت إليه صحته إضافة عوزه المادي وارتبائه الحياتي، وهذا لا يعدم وجود حالات الانشراح المعنوي والتفاؤل من خلال تكرار اللون الأخضر (١٨) مرّة في هذه القصائد ، والنور، والضياء، والأنجم (١٦) مرّة، والظلال وما يرمز إليه (٩) مرات إضافة إلى بقية الألوان الأخرى فالذهبي والأزرق، والأحمر، والأصفر، والأبيض، الذي جاء تكراره بشكل متفاوت في هذه القصائد الخمس، ويمكن لنا أن نأخذ إحدى هذه القصائد المختارة ونورد بعضاً من أبياتها لندلل على صدق ما نقول ففي قصيدته " شباك وفيقه (١١) " التي يقول فيها :-

أطلي فشباكك الأزرق

كأني بي أرتحف الزورق

(انظر القصيدة كاملة في المجموعة الشعرية ص ٤٥٣ وما بعدها، وانظر شكل (٤) ولاحظ القصيدة في المجموعة الشعرية الكاملة ص ١٢١ وما بعدها)

إذا انشق عن وجهك الأسمر

كما انشق من عشتروت المحار

ففي الشاطئين اخضرار

وشباكك الأزرق

على ظلمة مطبق

ففي خاطري ظل بعيد

وفي حاضري منه مستقبل

حيث تكرر اللون الأسود (٥) مرات ، والأخضر(٩) مرات، والنور، والضياء، والنجوم، والشمس، والقمر(٦) مرات ، إضافة إلى اللون الأزرق الذي تكرر(٣) مرات ، كما أننا نجد شيوع ظاهرة الأفعال الأمرية والجمل الاسمية وتكرار حرف العطف وكذلك حرف الجر في هذه القصيدة . هذا يدل لنا ميل الشاعر نحو (انحسار الأجواء المأساوية وإشاعة روح التفاؤل، والأمل، الذي عطرَّ أجواء القصيدة).

أما القصائد الخمس المختارة الأخرى من مجموعته الشعرية "منزل الأقتان " الصادرة عام ١٩٦٣* ففي هذه القصائد الخمس قد عبّر الشاعر أصدق تعبير عما يجيش في نفسه وما اعتورها من حالة اليأس ، ونعني به اليأس من الحياة نتيجة عدم شفاؤه من مرضه ، المرض الذي أقعده عن الحركة وجعل منه جثة ملقاة على سرير المرض لا يقوى على الحركة ، كل هذه الأمور جعلت "اللون الأسود" ومدلولاته يكون طاغياً على معظم أجواء هذه القصائد حيث تكرر في قصيدة "سفر أيوب" (٣٤) مرة ، إضافة إلى ورود اللون الأخضر(٩) مرات والنور والضياء والنجوم والشمس والقمر(١٩) مرة وانعدام ورود الألوان الأخرى ، حيث صار(اللون الأسود) عنده هو (المعبر عن حزن الشاعر وإحساسه ، بالإحباط ، أمام المرض وآلامه ، على الرغم مما يقابل هذا اللون ، ألوان أخرى تتسم بالأمل والبهجة ، ونورد هنا بعضاً من أبيات قصيدة "سفر أيوب (١٢) " التي يقول فيها:

لك الحمد مهما استطال البلاء

ومهما استبد الألم

وأن المصيبات بعض الكرم

ألم تعطني أنت هذا الظلام

شهور طوال وهذه الجراح

(لاحظ القصيدة في المجموعة الشعرية الكاملة ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها. وانظر شكل رقم (٥))

تمزق جنبي مثل ألمدى

ولا يهدأ الداء عند الصباح

ولا يمسح الليل أوجاعه والروى... الخ

ونلاحظ في هذه القصيدة شيوع أحرف الجر والعطف وأدوات النفي والاستفهام، وعند قراءتنا للقصيدة نلاحظ قلّة ورود الأفعال وبخاصة الأمرية منها.

أما القصائد الخمس المختارة من ديوان الشاعر " سناشيل ابنة الجلبي * ". الصادر عن دار الطليعة بيروت عام ١٩٦٤، ففي هذه القصائد رَعِمَ حالة الشاعر الصعبة وما يعانيه من مرضه الحاد، فقد يكون هنالك تحولاً في ألوان قصائده على الرغم من طغيان اللون الأسود ومدلولاته الذي ورد (٢٦) مرّة ولكن إضافة إلى تكرار الألوان الأخرى فالأخضر (٧) مرات وألوان الظلال (٣) مرات والذهبي (٣) مرات وجاءت الألوان الأخرى بنسب متفاوتة وانعدم بعضها كاللونين الأزرق والأبيض، وربما يكون الشاعر قد استعاض عنهما بالألوان الأخرى، كاللون الأخضر على سبيل المثال الذي تكرر في هذه القصائد الخمس (٧) مرات . ففي قصيدته " إرم ذات العماد " حيث طغت ألوان الأمل والانفراج من اليأس والعودة إلى الحياة من باب واسع، حيث طغت هذه الألوان وتكررت في هذه القصيدة (٩) مرات يقابلها اللون الأسود، ومدلولاته (٧) مرات ، وتكرار اللون الأخضر مرّة واحدة وكذلك اللون الأخضر الأصفر وانعدام الألوان الأخرى وعدم توظيفها ، كما نلاحظ في هذه القصيدة التي نختار جزءاً منها (*): -

كأنما الأقمار منذ ألف ألف عام

كانت له الطلاء

كأنما النجوم في المساء

وملني الوقوف في الظلام

الشمس والفلاة

والغيم والسماء... الخ

وبخصوص لغة هذه القصيدة نجد شيوع (تكرار الحرف من) في بداية القصيدة إضافة إلى شيوع (أحرف العطف والجر وكذلك الجمل الاسمية التي تشيع في كتابة القصيدة) أما القصائد الخمس الأخرى المختارة من ديوان " اقبال (*) " الصادرة عام ١٩٦٥ ، أي بعد وفاة الشاعر وهذا الديوان يضم قصائد متناثرة كتبها الشاعر في فترات زمنية متباعدة وأراد أن يجعل له من اسم زوجته " اقبال " عنواناً لهذه المجموعة الشعرية فلم يتمكن من طبعها في حياته وإنما طبعت ونشرت بعد وفاته . ومما تجدر بملاحظته في هذه القصائد الخمس المختارة شيوع (اللون الأسود)

(انظر شكل رقم (٦)، وانظر القصيدة كاملة، المجموعة الشعرية، ج ١، ص ٦٠٢ وما بعدها، وانظر جدول رقم (٧))

وظلّ ملازماً لهذه القصائد ومضمونها إذ تكرر (٤٨) مرة، والنور، والضياء، والنجوم، (١٨) مرة، واللون الأخضر (١١) مرة وبقية الألوان الأخرى بنسب متفاوتة وهذا يدلنا على أن حالة الحزن واليأس ظلت سائدة مكبلة جسد الشاعر، بحيث أخذ يحس بها وبثقلها مما جعله يكرر هذا اللون بشكله الطاغي على هذه القصائد، ولا تكاد تخلو أية قصيدة من هذه القصائد المختارة من شيوخ (اللون الأسود) وغلبته على الألوان الأخرى بشكل واضح، فنلاحظ في قصيدته (إقبال والليل) والتي نورد بعض أبياتها طغيان اللون الأسود (٢٣) مرة والنور (٥) مرات، وقلة تكرار الألوان الأخرى أو انعدامها (١٤):

وما وجد ثكلى مثل وجدي إذا الدجى

تھاوين كالأمطار بالهم والسهر

أحن إلى دار بعيدة مزارها

وزغب جياح يصرخون على بُعد

وأشفق من صبح سيأتي وارتحي

محيئاً له يخلو من اليأس والوجد

الليل طال وما نهارى حين يقبل بالقصير

الليل طال نباح آلاف الكلاب من الغيوم

وهتاف حراس سهارى يجلسون على الغيوم

الليل والعشاق ينتظرون فيه على سنا النجم الأخير

في هذه القصيدة تشيع الجمل (الاسمية، وأحرف العطف والجر وأفعال الماضي والمضارع في أجوائها كقولة:

ينهله، ترفعه الرياح، يرُّ في الليل الضربير

أحنُّ إلى دار بعيد مزارها

إن المتتبع لطبيعة الإدراك اللوني في شعر السياب، نجد إنه ارتبط بشكل فاعل ومؤثر بألوان (النور، والظلام، والظلال، والسماء) ومجمل ألوانه مرتبطة بالطبيعة وموجوداتها بشكل عام، ولأن هذه الألوان وموجوداتها مهمة وضرورية للإنسان (كالهواء والماء) من حيث تعامله اليومي والنفسي والحياتي معها، فإنها تحتل مساحة

لونية واسعة، فالحزن، واليأس، والاكتئاب وضيق اليد. يعبر عنه بالليل، أو المساء، أو السواد، أو الغمامة، والثورة، والأمل، والتفاؤل ويعبر عنها بالفجر، أي أن المواقف والأحداث والانفعالات الذاتية والموضوعية تعكس صيغة (الإدراك اللوني). بشكل أو بآخر لهذا عبر الصراع عن اللون الأسود الذي يشكل ظاهرة لونية حادة ومتطرفة تكشف عن تصاعده واستمراره داخل النفس وداخل بنية القصيدة، أما اللون (الأخضر) فإنه يكشف عن حاجة الإنسان للطبيعة في إدامة الحياة حيث برزت صلة السماء، (انظر القصيدة كاملة، المجموعة الشعرية ج ١، ص ٧١٦ وما بعدها) بالخضرة عندما يغدو اللون الأخضر نقياً، لأن صفاء السماء يعبر بحق عن انحسار الأمطار والسحب، بينما توزعت ألوان الظلال، كالغيوم، والغبار، والضباب، لتعبر عن ضبابية حياة الشاعر وما يحيط به من أجواء قلة تكشف عن قلق الشاعر بوحى لا لبس فيه. وهكذا نكون قد سلطنا الضوء على الألوان التي وظفها السياب في مجموع دواوينه، وعبر من خلال اللون ودلالته عن معاناته ومكنونات نفسه من خلال هذا التوظيف للألوان.

الحواشي

١. قاسم حسين صالح، سايكولوجية إدراك اللون والشكل، ص ٢٠، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢.
٢. حلیم جرداق، تحولات الخط واللون، ص ٢١، بيروت، ١٩٧٥.
٣. عبد الغفار مكاي، قصيدة الشعر والتصوير عبر العصور، ص ١٥، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧.
٤. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص ٢٨٤، ط ٢١، بيروت، ١٩٨٣.
٥. سي - دي - لويس، الصورة الشعرية، ترجمة د. أحمد نصيف الجنابي وجماعته ومراجعة د. عناد غزوان، ص ٢١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢.
٦. قيس كاظم الجنابي، تشكيل الصورة الشعرية، مجلة شؤون أدبية، الشارقة، ع / ٤ / س / ١ / ١٩٨٧، ص ١١٤.
٧. تحولات الخط واللون، ص ١٧، مصدر سابق.
٨. بدر شاکر السياب، المجموعة الشعرية الكاملة، ج ١، ص ٢١ وما بعدها دار العودة، بيروت، ١٩٧١.
٩. بدر شاکر السياب، المجموعة الشعرية الكاملة، ج ١، ص ٩٧ وما بعدها.
١٠. المصدر السابق نفسه، ص ٤٥٣ وما بعدها.
١١. المصدر السابق نفسه، ص ١٢١ وما بعدها.
١٢. المصدر السابق نفسه، ص ٢٤٨ وما بعدها.
١٣. المصدر السابق نفسه، ص ٦٠٢ وما بعدها.
١٤. المصدر السابق نفسه، ص ٧١٦ وما بعدها.

الألوان القصيدية	الأبيض	الأحمر	النور	الظلال	الذهبي	الأزرق	الأصفر	الأخضر
أقداح واحلام	٩	٣	٢	-	-	-	-	١
في السوق القديم	١٦	١	٨	٣	١	-	-	١
أساطير	٣	١	٣	١	-	-	-	-
رثة تتمزق	٩	١	٣	١	-	-	-	٤
وداع	٣	-	١	١	-	١	١	-
المجموع	٤٠	٦	١٧	٦	١	١	١	٦

شكل رقم (١) جدول الألوان مجموعة (أزهار ذابلة) اختيرت خمس قصائد منها

الألوان القصيدية	الأبيض	الأحمر	النور	الظلال	الذهبي	الأخضر	الأصفر	الأزرق
في ليالي الخريف	٨	-	٣	-	-	-	٤	-
اغنية قديمة	٦	-	١	٣	-	-	-	-
لقاء ولقاء	٧	-	١٧	١	-	-	٢	٢
في أخريات الربيع	٣	-	-	-	-	١	-	-
نهر العذارى	٣	-	٥	٣	-	١	-	١
المجموع	٢٧	-	٢٦	٧	٢	٢	٦	٣

شكل رقم (٢) جدول الألوان المجموعة الشعرية (أساطير) اختيرت خمس قصائد منها

الألوان القصيدية	الأبيض	الأحمر	النور	الظلال	الذهبي	الأخضر	الأصفر	الأزرق
وحي غيلان	٨	٢	٩	٢	٥	-	-	-
أغنية في شهر آب	١٦	-	٣	-	١	-	-	١
المخبر	٩	٣	١	-	-	-	-	-
النهر والموت	٤	٢	٦	١	٣	٢	-	-
المسيح بعد الصلب	٨	٥	٧	٢	٣	١	٢	-
المجموع	٤٥	١٢	٢٦	٥	١٢	١	١	٣

شكل رقم (٣) جدول الألوان مجموعة (أنشودة المطر) اختيرت خمس قصائد منها

الألوان	الأسود	الذهبي	الأخضر	النور	الظلال	الأحمر	الأزرق	الأصفر	الأبيض
شباك وفيقه	٥	١	٩	٦	٢	-	٣	-	-
حدائق وفيقة	٨	-	٣	٤	١	-	١	٢	٢
أمام باب الله	٥	١	٢	١	-	-	-	-	-
أفياء جيكور	٤	-	٢	٦	٦	-	-	-	-
ابن الشهيد	٤	-	٢	-	-	٤	١	-	-
المجموع	٢٦	٢	١٨	١٧	٩	٤	٥	٢	٢

شكل رقم (٤) جدول الألوان مجموعة (المعهد الفريقي) اختيرت خمس قصائد منها

الألوان	الأسود	الأخضر	الأحمر	الأبيض	الذهبي	النور	الظلال	الأزرق	الأصفر
رجل النار	٧	-	٢	٢	-	١٥	-	-	-
ربيع الجزائر	٦	-	٣	-	-	٨	-	-	-
خديني	١	-	-	-	-	٦	-	-	-
سفرأيوب	٣٤	٩	-	-	-	١٩	-	-	-
الليلة الأخيرة	٦	١	-	-	٢	٧	-	-	-
المجموع	٥٤	١٠	٥	٢	٢	٥٥	-	-	-

شكل رقم (٥) جدول الألوان مجموعة (منزل الأقتان) والألوان المستخدمة فيها واختيرت خمس قصائد منها

الألوان	الأسود	الأخضر	النور	الظلال	الأحمر	الأزرق	الأصفر	الأبيض	الذهبي
شناشيل ابنة الجلبي	٦	٣	٥	٢	-	-	-	-	٢
ارم ذات العماد	٧	١	٩	-	-	-	١	-	-
جيكور واشجار المدينة	٤	٢	٣	-	-	-	١	-	١
يقولون تحيا	٥	١	٣	١	-	-	-	-	-
ليلة وداع	٤	-	٢	-	٢	-	١	-	-
المجموع	٢٦	٧	٢٢	٣	٢	-	٣	-	٣

شكل رقم (٦) جدول ألوان المجموعة الشعرية (شناشيل ابنة الجلبي) اختيرت خمس قصائد منها

الألوان القصيدة	الأسود	الأخضر	النور	الظلال	الأحمر	الأزرق	الأصفر	الأبيض	الذهبي
سلوى	٨	٦	٥	١	-	-	-	١	٣
حميد	٥	-	١	١	-	-	-	-	-
في غابة الظلال	٨	١	٢	-	-	-	-	-	-
نفس وقبر	٤	٢	٥	-	-	-	-	-	-
اقبال والليل	٢٣	٢	٥	-	-	-	-	-	-
المجموع	٤٨	١١	١٨	٢	-	-	-	١	٣

شكل رقم (٧) جدول الألوان المجموعة الشعرية (إقبال) اختيرت خمس قصائد منها